جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

القسم العلمي: اللغة العربية

المرحلة الدراسية: الثانية

المادة: الأدب الإسلامي

_ ماذا يعني مصطلح الأدب الإسلامي تحديداً ؟

ج/ هو الأدب الذي كتب باللغة العربية منذ ظهور الإسلام حتى أواخر الدولة الأموية، ويدخل ضمنه الأدب العربي الملتزم بالدعوة بمبادئه الإسلامية، المدافع عن الإسلام، وكذلك الأدب الذي قيل في هذا العصر، دون أن يكون للإسلام فيه أثر، والأدب الأموي ضمن إطار الأدب الإسلامي؛ لأنه يعد امتداد للأدب الإسلامي مع ما وجد فيه من تيارات أدبية وفكرية جديدة أو متطورة. إطلاق مصطلح الأدب الإسلامي قد يقصد به كل ما قيل عن الإسلام ، أو كل أدب ملتزم بمبادئ الإسلام منذ ظهور هذا الدين حتى عصرنا الحاضر. والمرجح هو هذا التقسيم التاريخي، فقسم الباحثون العصور الأدبية إلى أقسام تتفق مع العصور السياسية كما ذهب بروكلمان وجرجي زيدان وشوقي ضيف وغيرهم، ومع أنه من الصعب أن نفصل النصوص الأدبية بسنوات التاريخ، إلا أنه لغاية تعليمية. ومما يميز صدر الإسلام أكثر من الأدب الأموي فهناك ملاحظات تخص صدر الإسلام منها: شموله الشعر والنثر، ولحاجة الدعوة للنشر للمخاطبات وكتابة العهود، والانتحال الذي أشار إليه ابن سلام (ت٢٣١) والاختلاف في نسبة الأشعار، وشعر غير منسوب ، وضياع شعر المشركين.

_ تحدث عن حالة الشعر في صدر الإسلام :

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس

﴿، وقد ردت الآيات الكريمة على اتهامات المشركين ونزهت الرسول (ﷺ) من أن يكون شاعراً (وما بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون) وعدد السيوطي أسباباً لذلك منها:

١. إنَّ الشاعر بين كذب وإضحاك. ٢. الشاعر بين مدح وهجاء. ٣. الإيقاع في الشعر. ٤.إن كثير من الشعراء قبل الإسلام قدعرفوا بمسلك خلقي يتسم بكثير من الإسراف واللهو. ٥.أدعاء الشعراء أنفسهم بأمور غيبية تلهمهم الشعر.

والقرآن الكريم لا يشبه أي ضرب من ضروب الإبداع للبشري.

ومع كل ذلك لا يمكن أن نفهم من الآيات الكريمة وموقف الإسلام، حطاً من شأن الشعر والشعراء أو نظرة فيها احتقار وسخرية، ولكن لتنزيه الرسالة عن الشعر، فقال ابن رشيق: (ولو أن كون النبي (ﷺ) غير شاعر، غض من الشعر لكانت أميته(ﷺ) غضاً من الكتابة). وفهم المفسرون الأوائل أن المقصود في الآيات نوع معين من الشعراء الذين يذهبون كالهائم على وجهه من غير قصد جائراً عن الحق، وطريق الرشاد، فهناك استثناء فتكون هذه الآيات رفعاً لمكانة الشعراء المسلمين، قدر مافيها من حط وسخرية من شعراء المشركين الذين لم يلتزموا مبادئ الحق، وقد عدد الزمخشري الأغراض والمعاني التي يمكن للشاعر المسلم أن يقول فيها ويكون من الضرب الثاني الموعود بالجنة، كأن يقول في توحيد الله والحكمة والموعظة والآداب الحسنة ومدح الرسول (ﷺ) والصحابة وصلحاء الأمة .

وموقف الرسول(ﷺ) هو موقف القران أوالإسلام بصورة عامة، وأن ما روي عن الرسول قوله:(لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلأ شعراً)، والمقصود هو الشعر الذي يصرف عن ذكر الله. فقول الرسول لم يكن مطلقا على جميع الشعراء ، ولعل الشعر الذي ينصب عليه النهي الذي قيل في هجاء الرسول وتكملة الحديث في رواية أخرى: خير له من أن يمتلأ شعراً قيل في هجائي. وأقوال الرسول حول شعر امرئ القيس كانت حول الصور الوصفية الفاحشة التي تتنافى مع مبادئ الإسلام، فالرسول (ﷺ) لم يمنع العرب عن قول الشعر وهو الذي يقول:(لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين، والرسول لا يمكن أن يدعو إلى مخالفة الطبيعة العربية والإنسانية، ومن أقوال الرسول (ﷺ): (انما الشعر كلام، ومن الكلام طيب وخبيث) .

<u>فالشعر يتجه نحو الالتزام بالدين والمثل الإسلامية:</u> والدعوة التي تقول أن الإسلام أضعف الحركة الشعرية دعوة مرفوضة ، فشعراء المشركين الذين سبب ظهور الإسلام بالنسبة لهم دافعاً قوياً على قول الشعر الذي

يهجون به المسلمين، وتنبه ابن سلام إلى دافع قول الشعر حين جعل كثرة الحروب سبباً في نشاط الشعر وكثرته .

١- والرسول شجع على الشعر وأثاب عليه .

٢- توجد إشارات تدل على رد شعراء الدعوة الإسلامية على قصائد قالها المشركون .

وقد بلغ عدد نقائض كعب بن مالك التي قالها في الرد على شعراء المشركين ست نقائض، إلا أن القدر المقابل من شعر المشركين لم يصل إلينا، ونجد وصفاً لشعراء المشركين تدل على الكثرة فيقال (فالزبرخان بن بدر المع شعراء المشركين) (وضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعرهم) كما يصف ابن سلام وأبو سفيان المغيرة بن الحارث كان أشدهم عداوة، كما بين ابن سلام الوضع أدت إلى كثرة الشعر إلا أن ضياع شعر المشركين بعد إسلامهم كانوا في حالة خجل وصار الشعر الذي قالوه في هجاء الإسلام يتنافى مع الإيمان الجديد.

تناول بدراسة تفصيلية شعر حسان بن ثابت(شاعر الدعوة الإسلامية) مستعرضاً حياته وإسلامه وموضوعاته الشعرية، محللاً لواحدة من قصائده بما لا يقل عن عشرة أبيات موضحاً جو القصيدة وموضوعاتها واتجاهاتها، وأراء النقاد في شعره .

ج/ هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي. حدد بعض الباحثين سنة ولادته بعام ٥٦٣م، وكان لقبيلته شأن في الإسلام حين نصروا رسول الله (ﷺ)، وكان حسان يفخر بقومه، وقد وصل من شعره الجاهلي ما يمكننا من موازنته بمجموع اشعاره . وكان حسان قبل الاسلام ينظم في الفخر والمديح شانه في ذلك شأن الشعراء العرب، وأول اتصال حسان كان بالغساسنة وأنشد قصيدته التي مطلعها .

أسألت رسم الدار أم لم تسألِ بين الجوابي فالبضيع فحوامِلِ

فعلق الأمير الغساني على هذه القصيدة هذا (البتارة) ولعل صلة القرابة تعكس صدق فخره بقومه، وقد ترك جمال دمشق أثره في شعر حسان، وأطلقت الخمرة لسانه، فأبدع في الوصف والخمريات ، وأن خلت أشعاره

الأخرى من عذوبة اللفظ ورنين الجرس وتفاوتت بين الرقة والركة والجمال والنظم والإبداع في الوصف إلى التقرير والأوصاف الجامدة .

ولم يعرف بالضبط سنة دخول حسان في الإسلام، ويذكر له أول ما قاله من شعره راداً فيه على ضرار بن الخطاب الذي فخر بأسره سعد بن عباده بعد بيعه العقبة الثانية .

تداركت سعدا عنوة فأخذته وكان شفاء لو تداركتَ منذرا

وبعد هذا الحادث نستطيع أن تتابع أشعار حسان وقد بدأ فيها حسان مشغولاً شغلاً تاماً بالدعوة الإسلامية، وقد عرف الرسول (ﷺ) بمكانة حسان وشعره ودوره في الرد على المشركين، حيث خاطب الأنصار بقوله: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال: حسان بن ثابت أنا لها. وعندما قال له الرسول (ﷺ) كيف تهجوهم وأنا منهم فقال: إني أسلك منهم كما تصل الشعرة من العجين. ويكفي حسان فخره ومكانة أن جعل رسول الله شعره معضداً بالوحي وبجبريل ورح القدس .

وله قصائد يرد فيها على المشركين وعلى عبد الله بن الزبعري وأبي سفيان بن الحارث ، ولعل قصيدته الهمزية الرائعة تنسيك ما أتهم بم من جُبن. وقد جمع حسان (ﷺ) في أهاجيه بين شتم قريش بقيم ما قبل الإسلام، وتسفيه رأيها بالمبادئ الإسلامية، وهو في الرثاء بدا صادقا في دعم الدعوة الإسلامية، فيها أخذت مراثيه في الرسول (ﷺ) تمثل حزنا حقيقيا، وإذا ذكر الرسوم والأطلال في مراثيه فهي تختلف عن رسوم الآخرين، وحين يهم بتعداد مآثر الرسول يشعر بتبلد نفسه ؛ لأن مآثر الرسول(ﷺ) أكثر من أن تحصى وإذا كان المسلمون قد غيبوا جسده الشريف في القبر فإنما يغيبون خلقا عظيما من الحلم والعلم والرحمة، ومن ثم فالحزن عام شمل جميع المسلمين فهو يؤكد ألم شديد للفراق وخلود الرسالة وحزن المجموعة الإسلامية، ولقاء الرسول (ﷺ) في الجنة بصورة في ذلك.

آراء النقاد في شعر حسان(رضي الله عنه) :

قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاث؛ كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي(ﷺ) في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام. وهذا رأي أبي عمرو بن العلاء والذي يقول أيضاً:(أشعر أهل الحضر حسان).

أما ابن سلام فقد عد فحول المدينة الخمسة هم حسان، وكعب، وعبد الله، وقيس بن الخطيم، وأبو قيس بن الأسلت وأشعرهم حسان بن ثابت، وقال عنه هو كثير الشعر جيده، ويصف بيت قاله حسان بأنه لو مزج به ماء البحر لمزجه، وتابعه على ذلك أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني، وقال عنه الأصمعي كان نقاشاً . ومن خلال المحاورة بين الأصمعي والسجستاني يقول الأصمعي تنسب إليه أشعار لا تصح عنه، وهذا يعني أن بعض أسباب الضعف والركة في شعر حسان مردها إلى شعره الموضوع عليه، وقد أكد هذه الفكرة ابن سلام. والأصمعي يرى أن شعر حسان قبل الإسلام من أجود الشعر على أساس أن الخير إذ دخل الشعر (لان) ويبتعد عن دوافع التشبيب والخمرة ... ولمناقشة رأي الأصمعي نقول:

١- لم يكن شعر حسان قبل الإسلام في باب الشر فلم يؤثر عنه حسان اشتراكه في حروب.
٢- إن شعره قبل الإسلام لم يكن عن نمط واحد، وإنما متفاوت بين الجدة والإبداع والركة والسهولة ، وكذلك كان شعره الإسلامي .
٣- إن كثير من أشعاره الركيكة يمكن أن تدرج تحت الشعر الموضوع .
٤- الدراسة التحليلية لمراثي حسان لما فيها من صدق العاطفة .
٥- والتفاوت في شعر حسان مرده إلى طبيعة الدعوة الإسلامية ، وكان يرتجل قصائده في كثير من المواقف هدفه الرد على المشركين .

قصيدة وتحليل :

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

فدع هذا ولكن من لطيف يؤرقني إذا ذهب العشاء

لشعثاء التي قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء

عدمنا خيلنا أن لم تروها تثير النقع موعدها كداء

وقال الله قد أرسلت عبداً يقول الحق أن نفع البلاء

هم الأنصار عرضتها اللقاء
وقال الله قد يسرت جنداً

إلا أبلغ أبا سفيان عني فأنتَ مجوف نخب هواء

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء

فإنَّ أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

التحليل والنقد :

– جو القصيدة:

من المرجح أن هذه القصيدة قيلت قبل فتح مكة كما يذكر ابن هشام بقوله: (قالها حسان قبل يوم الفتح (والأبيات فيها دلالة واضحة على ذلك، هجا فيها أبا سفيان وهدد قريشاً ناقلاً رغبة المسلمين وتشوقهم إلى زيارة الكعبة وأداء العمرة .

– موضوعاتها :

١. المقدمة الطللية. ٢.التهديد. ٣.الفخر الجماعي. ٤.الهجاء الشخصي والقبلي. ٥.مديح الرسول (ﷺ) ٦.الفخر الشخصي .

ونلاحظ أن المقدمة الطللية تقع في عشرة أبيات وقف فيها الشاعر على مواضع في بلاد الشام يبكي أطلالها المقفرة ، وانتقل إلى تذكر خيال الحبيبة، وهذا يتيح له الانتقال إلى معنى آخر من خلال تشبيه رضابها بالخمر، وهناك ينطلق حسان إلى المعنى الجديد الذي تطرق إليه فيصف الخمرة، ويمجدها. فهو وقومه يلجأون إلى شربها إذا ما أثيروا لقتال أو مهاجاة ... وأن الالتفات إلى هذه المقدمة التي بدت غير ملائمة للجو الذي قيلت فيه قد حدث في زمن حسان إذْ قيل أنه هجم يوماً على فتيان من قومه يشربون الخمر، فنقم منهم ذلك، وأنكره، والمرجح أن المقدمة قيلت قبل الإسلام ، وأنه حين أراد أن يقول شعراً في الرد على أبي سفيان، فأتى بالمقدمة جاهزة مع ما فيها من معان تخالف روح الإسلام؛ فهي تقليد للشعراء، وهذا شيء معروف؛ إلا أنه لم يعد ملتزماً بهذه المقدمات استجابة للمواقف السريعة، والمقدمة لا تنسجم مع الظروف الصعبة، وبهذا يمثل صدر الإسلام بداية بسيطة لتطوير بنية القصيدة العربية ومقدمتها الطللية بالذات، وكان هناك نوعين من المقدمات الغزلية:١- عفيفة، ٢- مقدمة طللية . وكان يخرج من المقدمة ليخلص إلى فخر بقومه ، وأن استعمال لفظ (دع) وسيلة حسنة للتخلص من المقدمة ، فيدخل في موضوعه مباشرة يقول حسان(رضي الله عنه):

فدع الديار وذكر كل خريدة بيضاء آنسة الحديث كعاب

وأشك الهموم إلى الإله وما ترى من معشر متآلبين غضاب

لقد تخيل حسان بن ثابت(رضي الله عنه) خيول المسلمين التي تقتحم شعاب مكة تاركة الخوف والهلع في النفوس ، فالعفاء يتيقن سنابك الخيل وضرباتها بخمورهن .

تظل جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء

ويخير حسان قريشاً من موقع القوة والثقة بالله ونصره يخيرها بين أمرين ، أما أن تدع المسلمين يؤدون العمرة بسلام أو تنتظر بلاء اليوم العظيم الذي يعز المسلمين ، ثم ينتقل إلى هجاء أبي سفيان:

إلا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواء

ويقابل صورة حسان(ﷺ) بصورة الرسول (ﷺ) البر الحنيف الوفي ، وهناك من يرى (د. عرفات) بأن القصيدة قد تكون قيلت في أوقات متفاوتة. **أما اللغة الشعرية عند حسان(ﷺ):** نلاحظ عليها التطور في المفردات والأساليب والمعاني، فهو يستخدم أسلوب التهديد الذي يتماشى مع الظروف وأسلوب الخطاب الجماعي، وظهور الأفكار الإسلامية، فصورت لغة الشاعر أقرب إلى الحاضرة السهولة البعيدة عن الغرابة.

– تناول بدراسة مقارنة لشاعرين قل تأثرهما بالإسلام.

أ– الحطيئة . ب– متمم بن نويرة .

ج/

أ– الحطيئة: يمكن تحديد الاتجاهات لدراسته من الجوانب: الفنية فهو امتداد لطبيعة الشعراء قبل الإسلام مثل زهير بن أبي سلمى وأوس بن حجر وميله للهجاء وتكسبه به وتنقله بين القبائل للمدح والهجاء .

لقد وصف الأصمعي الحطيئة فقال:(كان جشعاً سؤولاً ملحفاً دنيء النفس، كثير الشر قليل الخير، قبيح النظر، مغمور النسب، فاسد الدين، وقال عنه الأصفهاني: أنه من فحول الشعراء ومتقدميهم، وكان ذا شر وسفه، ولكن محقق الديوان دافع عنه. وفي الواقع كان يمدح ويهجوا فيتراجع من مواقفه فيتذبذب بين المدح والهجاء، ويعلل سبب ذلك الدكتور شوقي ضيف بسبب حادثه الزبرقان وخلاصتها أن الحطئية التقي بالزبرقان فاخبره الزبرقان بأنه إذا قبل جوراه كفاه الحاجة طول العمر، وأرسل معه كتاباً إلى زوجته أو إلى أمه لتكرمه، الأمر الذي أغاض بني أنف الناقة ؛ لأنهم حسدوا الزبرقان، فأفسدوا العلاقة بعد المشاغبات، وأراد بنو بغيض الوصول إلى غرضهم الرئيس في تحريض الحطيئة ليهجو البربرقان، ويرى الحطيئة أنه لا ذنب للزبرقان فيما جنته أمرأته ، إلا أن الزبرقان يرسل إلى رجل من بني النمر قاسطاً ليهجو بغيضاً وفي هجائه لهم يعرض بالحطيئة ويبدأ الحطيئة بعتاب الزبرقان وليس هجاء .

ألم أك نائياً فدعوتموني فجاء بي المواعد والدعاء

ألم أك جاركم فتركتموني لكلبي في دياركم عواء

وآنيت العشاء إلى سهيل أو الشعري فطال بي الأناء

ولما أن مدحت القوم قلتم هجوت ولا يحل لك الهجاء

فيصور الحطيئة حالة الانتظار، وكيف انه كان يؤخر العشاء، وهو مسلم ربطته مع آل الزبرقان رابطة الجوار، ولما كادت الحرب أن تقوم بين آل بغيض وآل الزبرقان ، فحسم الخليفة العادل عمر بن الخطاب (ﷺ) الأمر بإخراج الحطيئة ، ولعل في القصة مبالغات فجعل الحطئية عديم الوفاء ، ولأنه اعتذر للزبرقان.

سناماً ومحضاً أنبت اللحم فاكتست عظام أمرئ ما كان يشبع طائره

ألم أك مسكينا الى الله راغباً على رأسه أن يظلم الناس زاجره

وعلق الدكتور طه حسين على المبالغة في وصف النقاد لهجاء الحطئية، فإن هجاء الحطيئة قل فحشاً من الشعراء مثل أوس وزهير، أما هجاؤه لأمه وإخوانه ، فذلك لتقلبه وعدم استقراره وعدم وضوح نسبه ، فهو لا يعرف له أباً على وجه الحقيقة، وكثيراً ما تخلط عليه أمه الأمر فيقول:

تقول لي الضراء لست لواحد ولا اثنين فانظر كيف شر أولئكا

وأنت أمرؤ تبغي أبا قد ضللته هبلت ألماً تستفق من ضلالكا

وهكذا لم يكن الحطيئة صحيح النسب معروف القبيلة ، فالحطئية لم يكن أباً لام برة عطوف فيهجوها :

جزاك الله خيراً من عجوز ولقاك العقوق من البنين

لسانك مبرد لم يبق شيئاً ودرك در جاذبة وهين

وزاد الطين بلة أن أمه تزوجت مره أخرى من رجل دعي مطعون في نسبه . ولكنه أيضاً هجا كل من أبيه وعمه وخاله فيقول:

لحاكَ اللّه ثُمَّ لَحاكَ حقًّا أباً ولحاك من عمٍّ وخالِ

جمعتَ اللُّؤْمَ لا حَيَّاكَ رَبِّي و أبوابَ السَّفاهةِ والضَّلالِ

وهجا نفسه: أرى لي وجهاً شوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

وصور أبو عبيدة بقوله عن الحطيئة:(كان الحطيئة بذيئاً هجاء) عندما وصل به الأمر لهجائه لنفسه ومع ذلك لعل في الأمر مبالغة فالأصفهاني وصف أجاده الحطئية في كل فنون الشعر، ولعل الأمر يدل على روح السخرية ، فهو يهجو زوجته مع أنه على علاقة طيبة معها يقول :

أطوف ما أطوف ثم آوي إلى بيت قعيدته لكاع

وللحطئية أشعار إنسانية الذي يصور فيه أبناءه الصغار ونقرهم وقصيدته المشهورة التي وجهها إلى الخليفة عمر (ﷺ).

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

غيبت كاسبهم في قصر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

كما وصفوه بالبخل ولعل ذلك أيضاً فيه مبالغة ولحقت به هذه الصفة لفاقته وسعيه الى المدح لطلب المال ، وقصيدة الحطيئة في وصف كرم إعرابي معدم تمحو عنه هذه الصفة ولو كان بخيلاً ما استطاع أن يصورها هذا التصوير الجميل، لذلك الإعرابي الذي يعيش فأبناءه لم يأكلوا البر ولا عرفوا طعماً للحم وفجأة ينزل عنده ضيف، وهنا يبادر ابنه يا أبني لا تعتذر عن عدم أكرام الضيف، فاذبحني:

ولا تعتذر بالعدم على الذي طرا يظن لنا مالاً فيوسعنا ذما

ويرع الحطيئة في تصوير الأمر بما ينسجم وروح الأبوة:

فقال : هيا رباه ضيف ولا قرى بحقك لا تحرمه تا الليلة اللحما

حتى يفرج الله الأمر بقطيع من الحمر الوحشية تريد الماء ....

نريد القول: أنه شاعر بدوي استمرت حياته بعد الإسلام على النمط نفسه الذي كانت عليه قبله يمثل امتداداً لمذهب شعري معروف هو مدرسة زهير التي عنيت بتجويد الشعر ورصانة اللفظ وجمال الأسلوب وهو لم يكن من شعره الدعوة أو الشعراء الذين هزتهم أحداث العصر فيما أشتهر بالصفة العامة (الهجاء).

ب- **متمم بن نويرة:** من بني يربوع بن مالك من تميم كان فارساً شجاعاً قبل الإسلام ولم تحدد سنة إسلامه إلا أنه أسلم وحسن إسلامه وشاع اسم متمم بسبب قصائده الرائعة التي رثى بها أخاه مالك حين قتل مع مرتدي قبيلته وأجاء في رثائه وفي طبقات ابن سلام في طبقة المراثي يقول: (والمقدم عندنا متمم بن نويره) ومن جيد قوله :

لعمري وما دهري ولا جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا بتأبين هالك

وقد عد الأصمعي هذه القصيدة أم المراثي ، وامتدحها المبرد أيضاً وأعجب به ابن الأثير وعلّق عليه بيته المشهور من الرثاء في مالك :

لقد لامني عند القبور على البكا رفيق لتذراف الدموع السوافك

بأنه أرثى بيت قالته العبر وأنه أبلغ ما قيل في تعظيم ميت، وكان الحطيئة الشاعر يعجب برثاء متمم فعندما قال الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) للحطيئة : هل رأيت أو سمعت بابكي من هذا ؟ قال والله ما بكى بكاءه عربي قط، ولا يبكيه. وهذا الإعجاب من النقاد برثاء متمم للعاطفة القوية التي تمس شغاف القلوب، وكان يحرك في نفس الخليفة الراشد عمر كوامن الحزن على أخيه زيد الذي قتل في حروب اليمامة، ويعلق عمر (ﷺ) على قول متمم: هذا والله التأبين: ولوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيداً بمثل

ما رثيت بها أخاك. فقال متمم: لو ان اخي نات على ما مات اخوك ما رثيته ، فقال عمر: ما عزاني عن اخي بمثل ما عزاني به متمم.

لقد سارت مراثي متمم سير الأمثال وأخذت الركبان أشعاره وحفظها العرب، وتمثلوا بها وذكرهما شعراء الرثاء في أشعارهما مثلا لطول التلازم وشدة الأسى وصدق المودة في الإخاء.

ونلاحظ اهتمام علماء اللغة في شعر متمم للشواهد اللغوية . كما لاحظ النقاد كثرة شعره على قافية العين. ووجود الإثراء في شعره فالقوافي مرة مرفوعة وأخرى مخفوظة أو منصوبة ، وهذه يمكن أن يعد من عيوب الشعر .

ونقف عند قصيدته العينية التي تمثل أشعار التي قالها بعد الإسلام وهي تعد امتداد لشعره الذي قاله قبل الإسلام وهي أنموذج للشعر العربي الذي عاش بعيداً عن الجو الإسلامي وإفكاره ولم يتأثر بإبعاد الدعوة الإسلامية :

لَعَمْرِي وما دَهْرِي بِتَأْبِينِ هَالِكٍ ولا جَزَعاً مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا

لَقَدْ كَفَّنَ المِنْهَالُ تحتَ رِدَائِهِ فَتًى غيرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أَرْوَعَا

ولا بَرَمًا تُهْدِي النِّساءُ لِعِرْسِهِ إذا القَشْعُ مِن برد الشِّتَاءِ تَقَعْقَعَا

لَبِيبٌ أَعَانَ اللُّبَ مِنهُ سَمَاحَةٌ خَصِيبٌ إذا ما رَاكِبُ الجَدْبِ أَوْضَعَا

تَرَاهُ كَصَدْرِ السَّيفِ يَهْتَزُّ إذا لم تَجِدْ عندَ امرئِ السَّوْءِ مَطْمَعَا لِلنَّدَى

وما كان وَقَّافًا إذا الخيلُ ولا طَائِشًا عندَ اللِّقاءِ مُدَفَّعَا أَحْجَمَتْ

فَعَيْنَيَّ هَلاَّ تَبْكِيانِ لِمَالِكٍ إذا أَذْرَتِ الرِّيحُ الكَنِيفَ المُرَفَّعَا

إذا جَرَّدَ القومُ القِدَاحَ وأَوقدت لهمْ نَارُ أَيْسَارٍ كَفَى مَن تَضَجَّعَا

أَبَى الصَّبْرَ آياتٌ أَرَاها وَأَنَّنِي أَرَى كلَّ حَبْلٍ بعدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا

وَكان جناحي إِنْ نهضت ويحوى الجناح الريش أن يتنزعا
أقلني

سَقَى اللهُ أَرْضًا حَلَّها قَبْرُ مَالِكٍ ذِهَابَ الغَوَادِي المُدْجِنَاتِ فَأَمْرَعَا

فَو اللهِ ما أُسْقِي البلادَ لِحُبِّها ولكنَّني أُسْقِي الحبيبَ المُوَدَّعَا

وما غالَ نَدَمَانِي يَزيدَ وَلَيْتَنِي تَمَلَّيْتُهُ بالأهلِ والمالِ أَجْمَعَا

قَعِيدَكَ أَلاّ تُسْمِعِيني مَلامَةً ولا تَنْكَئِي قَرْحَ الفُؤَادِ فَيَيْجَعَا

نَعَيْتَ امْرَءً لو كانَ لَحْمُكَ لآوَاهُ مَجْمُوعًا لَهُ أَو مُمَزَّعَا
عنَدهً

لا يَهْنِئِ الوَاشِينَ مَقْتَلُ مَالِكٍ فقدَ آبَ شَانيهِ إِياباً فَوَدَّعَا

إنَّ هذه القصيدة أطوال قصائد مالك (٥٧ بيتاً) وهي التي وصفت (أم المراثي) يبدأ برغبته بالبكاء على أخيه ويعدد خصال أخيه الحميدة، ويذكرنا بعدم جزعه من الحزن على أخيه والفضائل التي يذكرها هي فضائل عربية ، الأخلاق والشجاعة وغير ذلك وهي صفات بدوية .

وبعد هذه الصفات يندفع مرة أخرى للبكاء على أخيه ويتذكر مواقفه في الشدائد، ويتذكره في كثير المواقف الميدانية خصوصاً في مجال النجدة والكرم أو وجود امرأة ذليلة مع يتيمها أيام القحط، وذكر صوره قبل

الإسلام فهو لا يعبث حتى عندما يشرب الخمرة ولا يسيء الأدب، وهذه الصورة الخمرية انعدمت بعد الإسلام إلا أن متمم قد رسخت في ذهنه هذه المعاني والصور فهو من الشعراء الذين قل تأثرهم بالإسلام، وكان يستمر في ذكر مآثر أخيه التي كانت السبب في بعض صبره ، ويذكر حياؤه وشجاعته، ويستعين بالصورة الخيالية على النوق وحزنها وما يشاهده على الناقة الرؤوم التي تحن إذا فقدت ولدها، وهكذا ينهي قصيدته بإظهار حزنه وصبره، ويعاتب من مر بجسد أخيه ورآه ملقى ولم يغطيه معلناً أن الموت لا شماتة فيه، وهو على آية حال أظهر حزنه وألمه لفقدان أخيه وتعداد مآثره دون الدخول بتفصيلات عن مقتله ودون الإشارة إلى سبب ذلك .

- اكتسبت أشعار البطولة في الإسلام طابعاً دينياً مبعثه العقيدة والإيمان، فما هي المجالات التي تغنى بها الشعراء .

ج/ لقد تخيل الشعراء الجنة فكان صليل السيوف نغمات تطرب نفوسهم في مجالات :

أ- **<u>الثبات على العقيدة في مكة</u>:** فقد لاقى من العذاب على أيدي المشركين الكثير من الأبطال، فهذا خبيب بن عدي الأنصاري الذي استشهد بمكة يدعوا الله قبل موته أن يصبره الله على تحمل أذى المشركين وهو غير خائف من القتل وإنما على عقيدته أن تضعف .

فذو العرش صبرني على ما أصابني — فقد بضعوا لحمي وقد ضل مطمعي

ولست بمبد للعدو تخشعاً — ولا جزعاً أني إلى الله مرجعي

ولست أبالي حين أُقتل مسلماً — على أي حال كان في الله مصرعي

وحين عذب المشركون عمار بن ياسر وأباه وأمه وعدداً من المسلمين قال عمار قصيدة يعلن فيها صبره على الأذى وتشبثه بدين التوحيد ويذكر بلال بن رباح :

جزى الله خيراً عن بلال وصحبه — عتيقاً وأخزى عتيقاً فاكها وأبا جهل

فإنَّ يقتلوني يقتلوني فلم أكن — لأشرك بالرحمن من خيفة القتل

ب-<u>الهجرة في سبيل الله</u>: فأرض الله واسعة ويستطيع المسلم أن ينأى عن الذل فيقول عبد الله بن الحارث:

إنا وجدنا بلاد الله واسعةً تنجي من الذل والمخزاة والهون

فلا تقيموا على ذل الحياة ولا خزي الممات وعيب غير مأمن

لقد شاء الله أن يختبر صبر المسلمين في تحملهم لأذى المشركين مرة وتحمل فراق الأهل والديار والأحبة مرة أخرى .

ج- **<u>الجهاد في سبيل الله</u>** : دخلت أشعار الجهاد مرحلة جديدة للتشجيع على الثبات في المعارك وهو معنى وأرد في شعر ما قبل الإسلام ، إلاَّ أن الروح الإسلامية قد وجهته وجهة جديدة فهذا عمر بن الحمام يرتجز يوم بدر ليستشهد في المعركة نفسها قال قبل استشهاده :

ركضاً إلى الله بغير زاد

والصبر في الله على الجهاد

وكل زاد عرضه النفاذ

إلا التقى وعمل المعاد

فصار هؤلاء مشاعل تنير الدرب للمجاهدين الصابرين، فكان أحدهم تقطع رجله ويبقى صامداً ثابتاً على الجهاد، وهناك من تقطع يده كما حصل مع عبد الله بن سبرة الخرشي، فقد بارز الروم في إحدى المعارك فتقطع يده اليمنى فيفخر بهذا الوسام. ويقول:

يمني يدي غدت مني مفارقة لم استطع يوم فلطاس لها تبعاَ

وأن يكن أطربون الروم قطعها فان فيها بحمد الله منتفعا

ونجد الأراجيز الإسلامية تزيد الرغبة في القتال طلباً للأجر والثواب ونجد ذلك في شعر الجهاد والفتوحات الإسلامية. فهؤلاء أبناء الخنساء كل منهم يرتجز مؤكداً الفكرة نفسها ، فقد أثارت الخنساء في خطابها روح الحماس فاندفع الأول مكرراً وصية أمه:

يا أخوتي أن العجوز الناصحة

قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة

مقالة ذات بيان واضحة

فباكروا الحرب الضروس الكالحة

وأرتجز الثاني:

أن العجوز ذات حزم وجلد

والنظر الأوفق والرأي السدد

قد أمرتنا بالسداد والرشد

ويرتجز ثالث: والله لا نعصي العجوز حرفاً

قد أمرتنا حرباً وعطفاً

نسكاً وبراً صادقاً ولطفاً

فبادروا الحرب الضروس زحفاً

ويتمنى أعشى همذان لو أنه يلحق برفاقه الشهداء ويتخيل مصرعه والطيور حوله ولا يزيده هذا الشعور إلاَّ الرغبة الملحة في لقاء الله.

د- <u>صور إنسانية في شعر الفتوح</u> : تصور ما يخالج نفوس الشعراء من الشوق والفرح والانفعال السريع بالانتصار، وتفاصيل هذه الصور تأتي في معرض الإجابة عن السؤال في المحاضرة رقم (٨) .

- شعر العقيدة والدعوة من الأغراض الشعرية الجديدة في صدر الدعوة الإسلامية، فما هي مجالات وموضوعات هذا الشعراء ممثلاً لما تقول:

ج/ شعر العقيدة والدعوة مقطوعات قالها أصحابها حيث أعلنوا إسلامهم، وكان في المجالات التالية :

١- **التبرئة من الأصنام وإعلان الإسلام:** كما في قول: (ذباب بن الحارث السعدي التميمي) عندما أسلم ، وحطم صنم قومه :

تبعتُ رسول الله إذْ جاء بالهدى وخلفتُ قراضاً بدار هوان

وقراض هو صنم كسره الشاعر فيقول واصفاً كسره : شددت عليه شدة فتركته كأن لم يكن والدهر ذو حدثان

فلما رأيتُ الله أظهر دينه أجبت رسول الله حين دعاني

ويدعو(شداد بن عارض) قومه إلى ترك عبادة اللات؛ لأنها حجارة لا تستطيع أن تدفع الأذى عن نفسها فكيف تستطيع أن تنصر من يعبدها :

لا تنصروا اللات أن الله مهلكها وكيف يُنصر من هو ليس يَنتصرُ

٢- **محاججة المشركين:** يقول (بجير بن زهير) وهو أخو كعب بن زهير الذي اسلم قبل أخيه ودفعه حبه لأخيه إلى إرسال الأشعار والرسائل إليه يدعوه فيها إلى الإيمان بالدين الإسلامي:

إلى الله لا العزى ولا اللات فتنجو إذا كان النجاء وتسلم وحدها

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت من النار إلا طاهرُ والقلب مسلم

وحين سمع كعب أخوه بجير بإسلام أخيه أستاء وكتب إليه محاولاً دعوته لترك الإيمان بالإسلام والنبوة:

سقيت بكأس عند آل محمد فأنهلك المأمون منها فهلكا

فخالفت أسباب الهدى وتبعته على أي شيء ويب غيرك ولعا

وكذلك الشاعر (نوفل بن الحارث) يعلن التبرئة من دين الكافرين، ويسلم الشاعر (الطفيل بن عمر الدوسي) فتهدده قريش وتوعده بالقتل فلا يتراجع وإنما يعلن إسلامه بأبيات من الشعر يرسلها إليهم:

بأن الله رب الناس فرد تعالى جده عن كل جد

وأن محمداً عبد رسول دليل هدى وموضح كل رشد

٣- **مناقشة المرتدين:** من ذلك أن عبد الله بن مالك الارحبي وقف ناصحاً قومه بني حمدان حيث أعلنوا ردتهم ليعيد إليهم بثبات العقيدة، وهذا فاتك بن زيد العبسي يهجو قومه تميم حين أعلنوا ردتهم ويحاول أن يدعوهم للعودة إلى دين الله ، ويقال أن مالك بن نويرة سيد تميم أراد قلته لدعوته هذه حين قال مخاطباً مالك بن نويرة:

قلت يا مال أن ربك حي فاعبدنه ودن بدين الرسول

أنها ردة تقود إلى النار فلا تولعن بقال وقيل

٤- **التبرئة من المشركين :** يقول ضيف بن عمر في يوم القيامة (وهو من أيام حروب الردة ذاكراً قتل أحد زعماء المرتدين وهو محكم بن طفيل ، معلناً بأن دينه دين الرسول (ﷺ) وأنه موحد يتمنى أن يموت وهو ثابت اليقين والإيمان بتوحيد الله .

أهلك القومُ محكم بن طفيل ورجال ليسوا لنا برجال

أنها يا سعاد من حدث الدهر عليكم لفتنة الدجال

أن دين الرسول ديني وفي القوم رجال على الهدى أمثالي

أن تكن منيتي على فطرة الله حنيفاً فأنني لا أبالي

ويقول:(تمامه بن أثال الثقفي) مسفهاً دعوة مسيلمة الكذاب ظاناً أن السجع في كلامه يعطيه إشارة دعاء النبوة (وامرؤ القيس بن عباس) شاعر أرتد قومه فخالفهم رأيه وثبت على دينه وحاول أن يدعوهم إلى الرشاد .

٥- **العودة إلى الإسلام مره أخرى :** هناك بعض المقطوعات التي أعلن فيها أصحابها توبتهم وعودتهم عن الردة إلى الإسلام وهي أشعار قليلة نظراً لكثرة القتلى في تلك الحروب الطاحنة بين المسلمين والمرتدين . يقول جندب بن سلمى :

قدمت وأيقنت الغداة بأنني أتيت التي يبقى على المرء

عارها

شهدت بأنَّ الله لا شيء غيره بني مدلج فالله ربي وجارها

ومثل هؤلاء الشعراء يصورون الموقف الذي اقتضاه الثبات .

– رافق الشعر الذي قيل في عصر الفتوحات الإسلامية اسمى العواطف الإنسانية فما هي تلك الصور الإنسانية في شعر الفتوح؟

ج: من هذه الصور:

أ- **شعر المقعدين والشيوخ:** قالها الشعراء المقعدون الذين قعدت بهم شيخوختهم عن الجهاد والمشاركة فيه، وطالبوا بمنع أبنائهم من الجهاد... وهذا الشعر لا يمثل أدب العقيدة مباشرة ولكنه يصور الثبات على العقيدة من وجهة نظر أخرى قد تكون سلبية إلا أنها طبيعية فهؤلاء وقد شعروا بالشيخوخة تهد أركانهم وأدت إلى ضعف إرادتهم، لكنه يصور من جانب آخر ثبات الأبناء على عقيدتهم واندفاعهم إلى الجهاد وهذا توجه أنساني. يقول المخبل السعدي مخاطبا ابنه الذي شارك في الفتوح الإسلامية :

فإن يك غصني أصبح اليوم باليا وغصنك من ماء الشباب رطيب

فإني حنت ظهري خطوب تتابعت فمشي ضعيف في الرجال دبيب

إذا قال صحبي يا ربيع ألا ترى أرى الشيء كالشيئين وهو قريب

فالشاعر يرسم صورة رائعة للأبوة والمحبة، ولكن الابن يوازن بين حقوق الله وحقوق الأب. وأمية بن الاسكر رسم لنا صورة مماثلة، ولكنه أضاف إليها صورة الزوجة ثم يستمر برسم معالم الصورة بابن ذهب وارتحل

تاركا أباه مرتعشة يداه بسبب الشيخوخة والكبر. ولكن الابن (كلاب) لا يحفل برغبة أبيه في رده عن الجهاد فيذهب الشيخ الضعيف إلى الخليفة عمر (ﷺ) ويأمر الخليفة بإعادة كلاب إلى أبيه.

ب- **<u>شعر الأبناء المجاهدين</u>**: وذلك لان روح الحماس التي طغت على الشباب جعلتهم ينضوون تحت راية الجهاد الأكبر تاركة حياة الاستقرار. فالنابغة الجعدي يصور زوجته المحبة التي ترغبه بالبقاء:

باتت تذكرني بالله قاعـدة والدمع ينهل من شأنيهما سبلا

ما كنت اعرج او اعمى فيعذرني أو ضارعاُ من ضني لم يستطيع جولا

أما الحتات وهو احد الشعراء المجاهدين الذين حاول آباؤهم الشيوخ أن يبقوهم إلى جانبهم ولكن عقيدته كانت أقوى فيقول يعتذر لأبيه ويجيب داعي الله:

إلا من مبلغ عني ذريحا فإن الله بعدك قد دعاني

فإن تسأل فإني مستقيد وإن الخيل قد عرفت مكاني

ت- **<u>وصف المعارك</u>**: استمر الشعراء على ما عرف من وصف دقيق للشعر قبل الإسلام في وصفهم للمعارك والقتلى يقول ربيعه بن مقروم مفتخرا ببطولاته في المعركة وإشارات إلى معركة الفيلة التي اقترنت في تحرير العراق حيث استعملها الفرس في جيوشهم:

وشهده معركة الفيول وحولها أبناء فارس بيضها كالاعبل

متسربلي حلق الحديد كأنهم جرب مقارنة عنية مهمل

فالشاعر يصف ضخامة الجيش وقراع السيوف وضخامة جيش الفرس، كل ذلك ليصل إلى بسالة جيش العرب المسلمين، والقعقاع الفارس الشاعر الذي أشاد ببلائه وبلاء المسلمين في الفتوح الإسلامية لا يجد غضاضة في الإشارة بقدرة أعدائه وبلائهم في القتال يقول:

لم أر قوما مثل قوم رأيتهم على ولجات البر احما وانجبا

واقتل للرؤاس في كل مجمع إذا ضعضع الدهر الجموع

وكبكبا

أما الأعور بن قطبة أشار إلى المعارك التي لم تكن في صالح المسلمين:

لم أر يوما كان أحلى وأمر من يوم أغوات إذا افتر الثغر

من غير ضحك كان اسوى وأبر

فالشاعر بين انفعالين الفرح بالنصر لان قائد الفرس قد قتل مع حزنه لاستشهاد أخيه.

<u>د. وصف طبيعة البلاد المفتوحة</u>: وأهميتها متأتية من أنها تمثل مادة جديدة أضيفت إلى فن الوصف الذي برع فيه شعراء ما قبل الإسلام خصوصا في وصف الفرس والناقة والعلاقة التي تربطه معهما في الصحراء والسفر. وإذا كان القعقاع بن عمر قد وصف الفيلة في شعره الذي قاله مفتخرا بسملة عيونها، فان هناك شاعرا آخر نقل لنا صورة طريفة للفيل صورت دهشته لرؤيته وضخامة جسمه وقوته حين يطأ الأرض فيحطم كل ما يمر فوقه ولم يجد هذا الشاعر تشبيها يشبه به ضخامة الفيل وقوة إقدامه إلا (رحاء) جمع رحى . فيصف الفيل ويتمنى لو انه يملك الوسيلة للتخلص لينجو بنفسه: أجرد أعلى الجسم منه أضخم

يجر إرحاء ثقالا تحطم

ومشفر حين يمد سرحم

يرده في الجوف حين يطعم

وهذا الوصف يعد لأول مره في أدبنا العربي ومما يضاف إلى عناصر الوصف ما وجد من أشعار في وصف البحر في بداية عصر الفتوح الإسلامية ، ومن العناصر الجديدة التي أضيفت إلى شعر الفتوح ما قيل في أوصاف الطبيعة الغريبة، والجبال والمناطق الباردة والثلوج لذا نرى الشاعر مالك بن الريب يطلب من قائده الانسحاب من مدينة الترمذ؛ لأنهم لا يطيقون البرد الشديد والثلج:

فأرحل فديت ولا تجعل غنيمتنا ثلجا يصفقه بالترمذ الريح

وإذا لم يجد الباحثون شعرا للمحررين الفاتحين في المغرب العربي؛ ذلك لأنهم كانوا في عرب اليمن الذين لم يرزقوا ما رزق العدنانيون من اقتدار على التعبير الشعري، وهذا لا يكفي للحكم، وإنما كان السبب هو بعد المكان وان الفاتحين أقاموا واستوطنوا هناك في الأندلس مما جعل أشعارهم نادرة الذكر.

هـ.الرسائل الشعرية: وذلك بإيصال فكرة الشاعر على شكل رسالة شعرية يبعثها إلى من يريد إبلاغه بها من ذلك رسالة الحتات التي تمثل ثباته على الجهاد وهو يخاطب أبوه وقد كتب الجنود أبياتًا من الشعر بعثوها إلى الخليفة أو إلى قائدهم مخبرين عن حالهم تارة منبهين الخليفة إلى حالة خلاف تحدث بينهم وبين قائدهم أو بين قائدهم أو بين قائدين كما ذكر البلاذري في شأن الخلاف الذي حدث بين سليمان بن ربيعة الباهلي وحبيب بن مسلمة الفهري حتى تغالظ كل منهم بالقول وتوعد بعض المسلمين سليمان بالقتال فقال الشاعر:

أن تقتلوا سلمان نقتل حبيبكم وأن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل

وكتب إلى عثمان بذلك، وان الرسالة الشعرية كانت معروفة في شعر ما قبل الإسلام ولكنها ربما كانت رمزية ولكنها في شعر الفتوح واضحة في أفكارها وأسلوبها مصرحة عن قصد مرسلها من ذلك قصيدة أبي المختار يزيد بن قيس الكلابي التي رفع فيها شكواه من عمال الأحواز وغيرهم إلى عمر بن الخطاب:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة فأنت أمين الله في النهي والأمر

وأنت أمين الله فينا ومن يكن أمينا لرب العرش يعلم له صدري

فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى يسيغون مال الله في الأدم الوفر

ويستمر بذكر أسماء من يتهم بجمع المال ويطالب الخليفة أن يردعهم ويحاسبهم ويأخذ منهم نصف أموالهم حتى ينقل لنا صورة تضمنهم بالعطر الغالي، بينما الآخرون بعيدون عن هذا الثراء من المواضع الأخرى في هذا المجال رسائل الحنين إلى الديار.

و.الحنين إلى الوطن ورثاء النفس: ولعل أروع أشعار الحنين تلك التي نجدها في أشعار الذين أحسوا بدنو اجلهم فتذكروا أهلهم وأحباءهم وتشوقوا إليها ورثوا أنفسهم رثاءً رائعاً من ذلك رثاء كثير بن الغريره النهشلي وقصيدة حالك بن الريب، أما كثير فقد تحركت شجونه حين استشهد بعض أصحابه فرثاهم وانتقل بعدها إلى حديث الحنين حيث يبدأ بالبرق اليماني الذي يذكره بأهله:

وما بي أن أكون جزعت إلا حنين القلب للبرق اليماني

ومحبور لرؤيتنا يرجى الـ لقاء ولن أراه ولن يراني

وكذلك صور الشاعر حالات الأسر والأذى حين يقعون بأيدي أعدائهم وممن قال في ذلك أعشى همذان وظل مدة أسيرا في أيدي الديلم حتى هرب بمساعدة إحدى بنات الأعداء. عجباً من الأيام كيف تصرفت والدار تدنو مرة وتقذف

أصبحت رهنا للعداة مكبلاً أمسي وأصبح في الأداهم ارسف

وأما مالك بن الريب مما قاله:

إلا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجنب الغضا أزجي القلاصي النواجيا

لقد كان في أهل الغضا لودنا بغضا مزار ولكن الغضا ليس دانيا

فيتفوق الشاعر للديار ويكرر شوقه ويحاول أخفاء شوقه ويشعر لأبوه ويشعر بدنو أجله ويتصور قبره ونهايته، وقصيدته وإن كانت لا تصور أحداث الفتوح إلا أنها منبثقة من ظروفها فالشاعر انخرط في جيش سعيد بن عفان لكنه صور مشاعره**دعوى ضعف الشعر الإسلامي**.

يشيع بعض الباحثين من عرب ومستشرقين، فكرة ضعف الشعر العربي بعد الإسلام، ويرددون أحكاما وآراء أطلقها بعض النقاد في القرنين الثاني والثالث الهجريين، عندما قرروا ضعف الشعر بعد الإسلام، وانصراف الشعراء عن قوله، وبعد الناس عن الاهتمام بالشعر منذ إن نزلت الآيات الكريمة ﴿ الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر ﴾. وتناقلوا حديث الرسول (ﷺ): لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحا ودما خير له من أن يمتلئ شعرا.

وقالوا: إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: كان الشعر علم قوم لم يكن علم أصح منه، فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهيت عن الالشعر وروايته.

ورددوا قوله الأصمعي: إن الشعر نكد بابه الشر.

وقوله ابن خلدون: انصرف العرب عن الشعر أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي، وما أدهشهم في أسلوب القرآن ونظمه، فأخرسوا عن ذلك، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً.

إن هذه النصوص المبثوثة في كتب الأقدمين كان لها صدى دراسات المحدثين، فاستندوا إليها، وبنوا عليها نظر الشعر الإسلامي.

ويمكن إجمال ذلك الصدى في كتب المحدثين بالآتي:

١- إنَّ المسلمين شغلوا بالقرآن، وسكت شعراؤهم ليستمعوا إلى كلمة الله؛ ذلك الصدى القوي الذي رن في أسماع العالمين بكنه الرسالة الجديدة وفلسفتها، كان جديراً بأن يوقف أساليب القول والتفكير إلا في هذه الرسالة.

٢- إنَّ طريق الإسلام غير طريق الشعر، ومذهبه غير مذاهب الشعراء، فالشعراء إنما كان أكثر قولهم عصبية جاهلية وفخراً وحماسة بما بين قبائلهم من تنازع ومطاولة بالأنساب والاحتساب، وهجاء ومدحاً باطلاً، وهي مذاهب حاربها الإسلام.

وإن الشعر نكد لا يقوى إلاَّ في الشر، فإذا أدخلته في باب الخير لان.

٣- إنَّ بعض الشعراء شغلوا عن الشعر بالجهاد في سبيل الله.

٤- إنَّ النبي(ﷺ) لم يهيئ لعامة الشعراء مكاناً رحيباً فيكنفه، لما كانوا عليه في شعرهم من مذاهب لا يقرها الدين، فكف بعضهما عن قول الشعر .

٥- إنَّ الضعف الذي يبدو على الشعر الإسلامي إنما كان بدأ في الحقيقة قبيل الإسلام لا بعده، كان قد انقضى عصر الفحول، ولم يبق إلا الأعشى الذي مات-كما تقول الرواية- وهو في طريقه إلى النبي (ﷺ) ليمدحه، ويعلن إسلامه، ولبيد الذي كان قد بلغ الستين، أوشك أن يكف عن قول الشعر، ولم يبق عند ظهور الإسلام إلا شعراء مقلون، بعضهم مجيد في قصائد مفردة، ولكن لا يبلغون شاو هؤلاء الفحول.

ولتأكيد مقولة ضعف الشعر الإسلامي يورد هؤلاء الباحثون القول بأن شعر حسان بن ثابت لان وضعف في الإسلام، وأن بعض الشعراء قد انصرفوا تماماً عن قول الشعر بعد الإسلام، صمت لبيد بن ربيعه.

وفي الجانب الأخر ظهر فريق من الباحثين، رفضوا القول بضعف الشعر الإسلامي، وأكدوا إن نهضة الشعر قد استمرت بعد الإسلام، إن لم تكن قد تقدمت خطوات، بما هيأ لها الإسلام من أسباب التقدم والنهوض.

فابن خلدون مثلاً يفضل شعر الإسلاميين على شعر الجاهليين فيقول: إن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليين في منثورهم ومنظومهم، فأنا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعه والحطيئة ... أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير. والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام من القرآن والحديث، اللذين عجز البشر

عن الأتيان بمثلهما، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية، ممن لم يسمع هذه الطبقة، ولا نشأ عليها، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة، وأصفى رونقا من أولئك، وأرصف مبنى واعدل تثقيفاً، بما استفادوا من الكلام العالي الطبقة.

وممن قال بنفي مقولة ضعف الشعر الإسلامي من المحدثين الدكتور عمر فروج و الدكتورة بنت الشاطئ ونال ينو.

واتخذ بعض الباحثين طريقاً وسطاً بين القائلين بضعف الشعر الإسلامي، والقائلين بأنَّ الإسلام قد فجر طاقات الشعراء، وبعث الروح في أشعار تلك الفترة.

يقول الدكتور يوسف خليف: ولسنا ندعي أن القرآن صرف العرب جميعاً عن قول الشعر، أو أنه أخرس ألسنتهم حتى لم تعد تنطق به، وإنما الذي نقرره هو أنه أضعف من سيطرته على المجتمع الأدبي الإسلامي، بعد أن كان هو اللون الأساسي في الحياة الأدبية الجاهلية، وإذا كان لبيد قد فكر في أن يحطم قيثارته فقد كان هناك غيره... احتفظوا بقيثارتهم دون أن يحطموها.

إن الرجة الدينية والأدبية التي أثارها القرآن في نفوسهم وفي المجتمع الإسلامي من حولهم كادت تزلزل الأوتار في أيديهم، وتجعل الناس لا يجدون في فنهم تلك المتعة الآسرة التي كان القدماء يجدونها في الشعر القديم، أو على أقل تقدير لا يجدون في وقتهم ما يجعلهم يلتفتون حولهم ليستمعوا لهم كما كان أسلافهم يفعلون.

فأين الصواب في هذه الآراء ؟

أما أن القرآن قد حط من الشعر، وقلل من قيمته، فهذا غير صحيح، وقد عالجنا هذه المسألة في فصل ((القرآن والشعر)).

ونود أن نورد هنا التوجيه الطريف الذي ذهب إليه العسكري في آيات الشعر والشعراء، حيث يقول: واستثناء الله (ﷻ) في أمر الشعراء يدل على أن المذموم من الشعر، إنما هو العدول من جهة الصواب إلى الخطأ، والمصروف من وجهة الإنصاف والعدل إلى الظلم والجور، وإذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم. ولو كان الذم لازماً لكونه شعراً لما جاز أن يزول على حال من الأحوال.

أما حديث الرسول (ﷺ) عن الشعر فقد استشهد به هؤلاء ناقصاً؛ لأنَّ السيدة عائشة (رضي الله عنها) رفضت هذه الرواية، وارتاعت لها عندما سمعتها، وقالت: لم يحفظ أبو هريرة (رضي الله عنه)، إنما قال رسول الله (ﷺ): ((لأن يمتلئ جوفا أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به)).

ومن هذا الاستدراك يتضح جليا موقف الرسول (ﷺ) من الشعر، فقد نهى عن لون معين منه، وعن موضوعات خالصة، لا تتعدى هجاءه الذي يعني هجاء الدعوة، أما فيما عدا ذلك فأن الرسول (ﷺ) أقر قول الشعر، وطلب من الشعراء أن يردوا على قريش، وينصروه بألسنتهم كما نصروه بأسلحتهم، وسمح لهم بنظمه في معظم الأغراض الشعرية، وقد فصلنا هذه المواقف في فصل ((الرسول (ﷺ) والشعر)).

أما الحجج التي استند عليها المحدثون لتعليل القول بضعف الشعر الإسلامي فتقول:

١- القول بانبهار الشعراء بالقرآن ومعاني الإسلام الجديدة، فنقول أن الإسلام لم يكن قد آتى مفاجأة بلا إرهاصات أو مقدمات دينية، وقد فاضت كتب السيرة والتاريخ في تعداد تلك الإرهاصات التي كانت تعم الجزيرة العربية قبل البعثة النبوية.

وكانت الاشعار تمثل تلك الإرهاصات في أواخر العصر الجاهلي كشعر أمية بن أبى الصلة ولبيد وزهير وغيرهم من المتحفين .

ولا وجه للانبهار، فالمسلم همه أن يقتبس من القرآن في أفكاره وأسلوبه، وحقق ذلك فعلاً، لا أن ينبهر به، ويتوقف عن الإبداع الشعري، وسبق أن أتثبتنا رأي ابن خلدون في هذه المسألة حين فضل شعر الإسلاميين على شعر الجاهليين بسبب سماعهم القرآن والحديث.

٢- أما القول بأن طريق الإسلام غير طريق الشعر، إلى آخر هذه الحجة، فنقول: إن الإسلام قد نهى عن بعض ألوان الشعر، وهي مع قلتها، فإنه قد أوجد بديلاً عنها، وشجع كثيراً من الألوان الأخرى، ووجه بعضها الآخر كما هو موضح في أثر الإسلام في الأغراض الشعرية.

وغير صحيح أن الشعر نكد لا يقوى إلا في الشر.. . الخ موهوما ذهب إليه الأصمعي.. ، ورده بعض، المحدثين، فهذا الرأي يخالف رأي النقاد الذين يجمعون على أن القوة والضعف أردهما إلي طبيعة الشاعر وموهبته، وصدق عاطفته، وكما تنفعل النفوس بعوامل الشر تنفعل بعوامل الخير، وقد يصل انفعالها بأسباب الخير أقصى درجاته، فيرتفع شعرها فيه إلى أسمى ذرواته، وقد يكون انفعال الشاعر بحب الرسول (ﷺ) مثلاً أشد أقوى من انفعال شاعر بحب غادتا اللعوب.

٣- وحجة انشغال المسلمين بالجهاد مردودة أيضاً فالجهاد في سبيل الله والفتوحات الإسلامية أكثر الروافد التي أمدت الشعر الإسلامي بالمعاني الجديدة والأفكار البديعة والأغراض الطريفة .

ويجب أن نفرق بين العمل المادي الذي قد ينشغل عنه الإنسان بعمل آخر، وبين الانفعال الذي لا يمنعه مكان أو زمان، فحيثما انفعل الشاعر تفجرت قريحته وسال لسانه بكلمات الشعر.

٤- أما أن النبي (ﷺ) لم يهيئ للشعراء مكاناً رحيباً في كنفه، فانصرف بعض الشعراء عن قول الشعر، فهو قول غير مقبول، من يتتبع مواقف رسول الله (ﷺ) من الشعراء وتأييده الكبير لهم يعلم ما في هذا القول من بعد عن الحقيقة، ويكفى أنه نصب لحسان منبراً ينشد من فوقه الشعر في مسجده وفي حياته، وأنه زوجه من أخت زوجته ماريا القبطية، لا لشيء إلا لمواقفه الشعرية، وفيما أوردنا من إكرام رسول الله(ﷺ) للشعراء قولاً وفعلاً دليل يغنينا عن التفصيل في هذا الرد.

٥- والقول بأن الضعف قد بدأ قبل الإسلام فيه تعميم، فحسان وكعب بن زهير ولبيد والعباس بن مرداس والحطيئة والهزليين وغيرهم من المخضرمين، ومن تلاهم في العصر الأموي من الفحول المعروفين، كلهم شاركوا في النهضة الشعرية التي امتدت بعد الإسلام ولم تنقطع أو تفتر.

أما إن شعر حسان قد ضعف وتراجع بعد الإسلام؛ لأن شيطانه قد تبدل ملكا، فهذا غير صحيح أيضاً؛ لأن معظم النقاد يرون أن ما وجد في شعره من لين وضعف لم يكن في شعره الصحيح بل هو فيما وضع عليه من إشعار.

ومما سبق نخلص إلى بطلان دعوى ضعف الشعر الإسلامي، ونؤكد أن ما استند إليه القائلون بهذه الدعوى يرجع إلى قلة اطلاعهم على النصوص الشعرية أو إلى تقليد مقولة الأقدمين، أو تحميل بعض نصوص القرآن أو الحديث، أو النقاد القدامى، أكثر مما تحتم

- تحدث عن الشاعر عبد الله بن رواحة ، حياته ، إسلامه ، شعره، سماته الفنية .

ج/ اقترن اسمه بشعر الجهاد والثبات على العقيدة والمبدأ، كان شاعراً عظيم القدر في قومه قبل الإسلام. شهد بدرا ، وكانت مكانته عظيمة عند الرسول محمد (ﷺ)، ووصفه الآمدي بأنه شاعر محسن فارس، أسلم بوقت مبكر، واستشهد يوم مؤته، وكان مثالاً للشاعر المسلم وكان الرسول يترحم عليه ويقول: (رحم الله عبد الله بن رواحة أنه يحب المجالس التي تباهى بها الملائكة). وكان الشاعر في هجاء قريش أحياناً يرى سمات عدم الارتياح على وجه النبي عندما لا يخدم الدعوة الإسلامية فيقول الشاعر(فكأني عرفت في وجه رسول

الله (ﷺ) الكراهة ...) وكان يستجيب لتوجيه الرسول إذ يغير مجرى الأبيات من هجاء قبلي إلى فخر بالأمة .

ولابن رواحة أشعار قصار في مناسبات شتى لا تخرج عن إطار الظروف العامة التي يمر بها أهل المدينة في حربهم مع المشركين، وخصوصاً أبياته التي صحبت خروجه إلى الجهاد في آخر معركة سقط فيها شهيداً فهي تصلح أن تكون مثالاً سامياً لقصص البطولة والجهاد ، وهو يسأل الله أن يكرمه الشهادة ، فيدفن بعيداً عن أهله :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرعْ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهرة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقال إذا مروا على جدثي أرشده الله من غاز وقد رشدا

ونراه يخاطب ناقته متخيلاً نهاية رحلته :

إذا أديتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد العشاء

فشأنك أنعم وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي ورائي

ويبدد خطاب وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مشتهى الثواء عبد الله بن رواحة لناقته مختلفا عما عهدناه في الشعر الجاهلي، فهو لا يدعو عليها بالهلاك، ولكنه ينقل لنا تشوقه إلى أرض الجهاد، ويكفيها فخراً أن توصل المجاهد إلى ساحة الشرف والاستشهاد، فكان يتقدم جماعته إلى المعركة وكأنه يسبقهم إلى الجنة:

يا حبذا الجنة واقترابها

طيبة وبارد شرابها

وكأنه يستشعر مع طيب الجنة يخاطب نفسه :

أقسمت بالله لتنزلنه

طائعة أو لتكرهنه

كانت أشعار مقطوعات وأراجيز وكانت صادقة المشاعر المعبرة عن مواقف الجهاد أصدق تعبير، وكانت أشعاره في الإسلام مسايرة لحياته اليومية، مصاحبة لجهاده ، إلا أنها من الناحية الفنية تبدو أقل تجويداً من شعر حسان(ﷺ) وكعب بن مالك(ﷺ) .

وقد ذكر (د. يحيى الجبوري) وهو يعلل قلة أشعار ابن رواحة. ١.ضياع الشعر اعتماداً عليها بعد على ما رواه الأصفهاني من أن أهون الشعر على قريش قبل الإسلام شعر عبد الله وأن أشد الشعر عليها بعد إسلامه ؛ لأنه كان يعيرها بالكفر. ٢. كان يتأثم من قول الشعر. ٣. قصر الفترة الزمنية التي عاشها الشاعر (وهذا سبب ثالث)، وترجح الدكتورة ابتسام أن السبب هو عام من جملة الشعر الذي ضاع وأن عبد الله لم يكن من الشعراء المطولين.

له مقطوعات ومقدمات في الغزل ليجمع الجمال الحسي والنفسي شأنه شأن الشعراء وينتقل بعدها إلى الفخر بقبيلته وهو فخر لا يتجاوز التغني بقيم العربي.

وقد علم القبائل غير فخر إذا لم تلف مائلة ركوداً

بانا نخرج الشتوات منا إذا ما استحكمت حسباً وجوداً

فهو لم يعمد إلى الصنعة ولم يتعمد إيراد الصورة الفنية أو العمق في أوصافها وإنما جعل معانية مناسبة، وقد تطورت مفرداته اللغوية بعد الإسلام تمثل لغة المدنية يقول في رثاء حمزة .

بكت عيني وحق بكاها وما يغني البكاء ولا العويل

على أسد الإله غداة قالوا أحمزة ذاكم الرجل القتيل

أصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أصيب به الرسول

والأبيات تتم عن صدق عاطفي

تحدث فيها بلغة الجماعة المسلمة فأشعاره مقطوعات قصار ويميل إلى الرجز لارتباطه بإحداث الحرب، شعره خال من المقدمات الطللية، هجاؤه قليل للمشركين، عاطفته تغنت بالشهادة والرغبة في الجهاد، أما لغته فبسيطة سهلة ليس فيها غريب، ويستوي في ذلك شعره قبل الإسلام وبعده .